

هكذا ادّعوا اغتيال الشهيد عماد مغنية... والمحللون لا بدّ أن يعودوا إلى خطاب السيّد الأخير



إعداد وترجمة: ليلى زيدان عبد الخالق

حدث أن سنّت «إسرائيل» غارةً على الجولان السوري المحتلّ، وقصفت سيارتين كان يستقلّهما مقاومون لبنانيون ومعهم عميدٌ إيراني. «إسرائيل» اغتالت المقاومين جميعاً، ليتضح بعد فترة وجيزة، أنّ من بين المستشهدين، المقاوم جيهاد مغنية، نجل الشهيد عماد مغنية.

التهب شارع المقاومة، والتهبت مواقع التواصل الاجتماعي ومعها وسائل الإعلام المؤمنة بالمقاومة مساراً ونهجاً. وبدأ الحديث عن الرّد الموعج، وبدأت الأسئلة تُطرح: متى؟ أين؟ وكيف؟ وما هي إلاّ أيام قليلة، حتّى نفّذت المقاومة عملية نوعية في مزارع شبعا المحتلة، مستهدفةً رتلأ من أليات العدو، وأوقعت عدداً من القتلى اعترفت «إسرائيل» بإثنين منهم. ومرةً جديدة، التهب الشارع، والإعلام، ومواقع التواصل الاجتماعي.

بعد يومين من العملية النوعية، التي أزعجت الصهاينة وجعلت قياداتهم تلتزم الصمت، والمستوطنين يلتزمون الملاجئ، أطل سيّد المقاومة، السيد حسن نصر الله بخطاب نوعيٍّ لم يُبقِ حرفاً من دون نقاط، وأعلن فيه الحلّ مما يسمّى قواعد الاشتباك. قيل ما قيل في الخطاب، وكتب ما كتب. لتنبري الصحافة الأميركية عبر «واشنطن بوست» و«نيوزويك»، لنشر تقرير عن تورّط «CIA» في اغتيال القائد عماد مغنية في دمشق عام 2008.

وأيضاً، قيل ما قيل في هذا التقرير وكتب ما كتب، واحتلّ المحللون السياسيون شاشات التلفزة وصفحات الجرائد، للبحث في أسباب نشر تقرير كهذا في توقيت كهذا. منهم من ذهب إلى القول أنّ نشر التقرير ليس إلاّ رسالة لـ«إسرائيل» مفادها أنّ الأخيرة ما زالت بحاجة إلى المعونة الأميركية، على رغم العلاقات المتوترة بين الإدارة الأميركية وبنيامين نتنياهو، وحتّى نفّذت المقاومة عملية نوعية في مزارع شبعا المحتلة، مستهدفةً رتلأ من أليات العدو، وأوقعت عدداً من القتلى اعترفت «إسرائيل» بإثنين منهم. ومرةً جديدة، التهب الشارع، والإعلام، ومواقع التواصل الاجتماعي.

بعد يومين من العملية النوعية، التي أزعجت الصهاينة وجعلت قياداتهم تلتزم الصمت، والمستوطنين يلتزمون الملاجئ، أطل سيّد المقاومة، السيد حسن نصر الله بخطاب نوعيٍّ لم يُبقِ حرفاً من دون نقاط، وأعلن فيه الحلّ مما يسمّى قواعد الاشتباك. قيل ما قيل في الخطاب، وكتب ما كتب. لتنبري الصحافة الأميركية عبر «واشنطن بوست» و«نيوزويك»، لنشر تقرير عن تورّط «CIA» في اغتيال القائد عماد مغنية في دمشق عام 2008.

وأيضاً، قيل ما قيل في هذا التقرير وكتب ما كتب، واحتلّ المحللون السياسيون شاشات التلفزة وصفحات الجرائد، للبحث في أسباب نشر تقرير كهذا في توقيت كهذا. منهم من ذهب إلى القول أنّ نشر التقرير ليس إلاّ رسالة لـ«إسرائيل» مفادها أنّ الأخيرة ما زالت بحاجة إلى المعونة الأميركية، على رغم العلاقات المتوترة بين الإدارة الأميركية وبنيامين نتنياهو، وحتّى نفّذت المقاومة عملية نوعية في مزارع شبعا المحتلة، مستهدفةً رتلأ من أليات العدو، وأوقعت عدداً من القتلى اعترفت «إسرائيل» بإثنين منهم. ومرةً جديدة، التهب الشارع، والإعلام، ومواقع التواصل الاجتماعي.

هل سنّتون بحركة في ظلّ المفاوضات الأميركية-الإيرانية حول ملف طهران النووي؟

لتحلل «إسرائيل» كيفما يحلو لها، فهذا شأنها. أمّا بعض العرب المتشدّقين الذين يُبهرون حين يتحدّثون عن المقاومة وكانهم خبراء استراتيجيين، فإننا نحيلهم إلى كلمة سيّد المقاومة الأخيرة، التي قال فيها ما معناه: «يأتي أحدهم ويربط بين عمليات المقاومة والمباحثات حول ملف إيران النووي، وأنّ المقاومة لن تردّ بسبب تلك المفاوضات ولن تسبب حرباً لإيران. إن المفاوضات بين إيران وغيرها من الدول حول الملف النووي، أمر مفصول تماماً عن المقاومة وعملياتها... إنّ الإيرانيين وكل من يدعم المقاومة ويحبها، لا يريدون لنا المذلة».

يبقى أن نعرض في هذا التقرير، ترجمة لبعض مما ورد في تقرير «واشنطن بوست» لتبيان كيف ادّعت «CIA» ضلوعها في اغتيال القائد مغنية. وأردفناه بتقريرين صحافيين عبريين، الأوّل يحاول التماهي مع تقرير «واشنطن بوست»، ومحاولة القول لاميركا: «نحن أيضاً كنّا موجودين»، والثاني يتساءل عن أسباب نشر هذا التقرير، وفيه «رُكزكة» لنتنياهو.

صدق تقرير «واشنطن بوست» أو لم يصدق، ووفّق المحلّلون أم لم يوفّقوا، يبقى أن نقول إننا أمة لا نخجل بشهادتها، وإن شهداءنا هم طليعة انتصاراتنا الكبرى... والنصر آتٍ لا محالة.

يكون مغنية وحده. «إما أن يكون مع شخص آخر أو أن هناك أولاد يتجولون في المنطقة، أو مارة، أو أنه لم يكن في دمشق»، قال أحد الأميركيين، «التوجيهات كانت واضحة، ممنوع أن يصاب أحد غير مغنية»، «وهكذا مرّ مغنية عشرات المرات قرب السيارة المفخّخة ولم تضغط على الزر».

إذ، لم يكن كافياً إيجاب اللحظة المناسبة، كان هناك أيضاً فرق الفئتين بين التشخيص المؤكد وبين نقل التقرير عن التشخيص إلى هيئة الموساد ومنه إلى تشغيل العيون في دمشق. اقضى شهران من التعقب والانتظار حتى جاءت الفرصة المناسبة: مرّ مغنية قرب الجيب المتوقف في المكان الصحيح وكان وحده. تأكدنا من شخصيته بواسطة تكنولوجيا لتشخيص الوجه، وعندئذ... «بـوووم»، مرق الانفجار مغنية إلى أشلاء.

الرسالة: أنتم لا تستطيعون من دوننا

وكتب يوسي ملمان في صحيفة «معاريف»: يصعب التصديق أنّ التوقيت كان صدفة. فالذي سرّب التفاصيل عن اغتيال عماد مغنية قبل سبع سنوات، لا سيما لصحيفة مثل «واشنطن بوست» و«نيوزويك»، لم يقم بذلك صدفة. يبدو أنّ هناك من أراد نقل رسالة لـ«الشعب» في إسرائيل، ولرئيس الحكومة: أنّتم لا تستطيعون من دوننا. انظروا إن كان التعاون وطيداً بين جهازي الاستخبارات للدولتين، ومن شأنه أن يتضرر من سياسة رئيس حكومتكم. هذا هو الجوهر المخفي للرسالة المسريّة.

التسريب كان مفاجئاً لأنّ الولايات المتحدة لم تعتد أنّ تعترف بقيامها بعمليات سرية إلاّ إذا أخذت المسؤولية عنها على عاتقها. في حادثة مغنية لم تعترف لا الولايات المتحدة ولا «إسرائيل» بالعملية، وحتى الآن ما زال هناك مجال للإتكاف. فليس حكم السرّبر المجهول حكّم اعتراف رسمي من الحكومة. في ما يتعلق بالتفاصيل هي أقل أهمية ويبدو أنّ جزءاً منها ليس دقيقاً، مما تمّ نشره في وسائل الإعلام الأميركية. نتج انطباع بأنّ هناك في الولايات المتحدة من أراد أن يأخذ النصيب الأكبر من نجاح العملية.

ويحسب ما نُشر، ففي العملية المشتركة التي ضُفي فيها «وزير دفاع»، حزب الله، كانت «CIA» هي الشريك الأكبر والموساد هو الشريك الأصغر.

يمكن أن يكون الحديث مبالغاً فيه والحقيقة تختلف تماماً. الحقيقة هي أنّ الموساد كان هو الجهة المسيطرة. هذا الانطباع يتكون حتى من قراءة التقارير إذ قيل فيها أن المعلومات الاستخباراتية عن حركة مغنية في دمشق والتي كان له فيها شقة سرية، جلبتها الاستخبارات «الإسرائيلية». كما كتب المبادرة لتصفيتها جاءت من مائير دغان رئيس الموساد في حينه، على رغم أنه ذكر أيضاً أن أوساط من الاستخبارات والجيش الأميركي طرحوا هذه الامكانية بانفسهم نظراً إلى أنه كان لهم حساب مع مغنية، إذ كانت يدها ملطختين بدماء المعتان من الأميركيين. في نهاية المطاف كان مغنية هدفاً مهما لـ«إسرائيل»، أكثر من الولايات المتحدة، إذ طارده لسنوات طويلة. كما كتب أيضاً أنّ القنبلة التي وضعت في سيارته تمّ توليها وتركيبتها وتجربتها في الولايات المتحدة، لكن تشغيلها كان من قبل «إسرائيل».

يُسمع في التقارير ما بين السطور تفأخراً أميركياً بأن عملاء «CIA» كانوا موجودين على الأرض حين تصفيته في دمشق. يمكن التقدير أنه إذا كان الموساد شريكاً في العملية فإن رجاله -رجال الحرب كما نُشر في وسائل الإعلام الأجنبية وفي كتاب «عملاء ضد يوم الأخرى» للصحافي الأميركي دان ريفيت وأنا- كان لهم وجود محترم جداً في المكان.

كتب في الصحف الأميركية عن مشاركة الاستخبارات الأردنية. أيضاً هذا ليس مفاجئاً لمن يعرف عن العلاقات الوطيدة بين الدول.

يمكن التقدير أن نصيب «إسرائيل» في التصفية كان أكثر من نصيب الولايات المتحدة، ولكن الأمر هنا لا يتعلق بمن يسجل في حسابه رصيدها أكبر.

على رغم أنّ الرسالة موجهة إلى «الشعب» ورئيس الحكومة، فإن النشر يمكن أن يخدم أيضاً مصلحة «إسرائيل» الأمنية. فهم يتحدّون حزب الله ويضعونه وإيران أمام وضع صعب: ليست «إسرائيل»، وحدها التي تواجهونها، إنما أيضاً الولايات المتحدة الأميركية.

بلغت خمسة ملايين دولار أميركي لمن يستطيع توفير معلومات تؤدي إلى اعتقاله وإدانته.

كما وتشبّه الاستخبارات الأميركية في تورطه في تجنيز أبراج الخبر في السعودية عام 1996 والذي أسفر عن مقتل 19 جندياً أميركياً. أما «إسرائيل»، فقد اتهمته بتنفيذ عدد من الهجمات، كالهجوم الانتحاري الذي نفّذ ضدّ سفارتها في بيونس آيريس عام 1992، والذي قتل فيه أربعة مدنيين «إسرائيليين» و25 أرجنتينياً، والهجوم على مركز الجالية اليهودية في العاصمة نفسها عام 1994 والذي أسفر عن مقتل 85 شخصاً.

إذاً، لطالما اعتبرت الولايات المتحدة، حزب الله، وتحديداً عماد مغنية بمثابة تهديد واضح وقبيل على مقلته، يؤكّد مايكل تشيرنوف، وزير الأمن الداخلي، أنّ حزب الله يشكل تهديداً لأنّ الولايات المتحدة القومي، ويضيف: «وكي تكون صريحين، فإنّ هذا الحزب جعل تنظيم القاعدة يبدو لاجعاً مبتدئاً مقارنةً بقدراته».

وبالنسبة إلى الكاتب مايكو ليفيت، الذي أصدر مؤخراً كتاباً حول حزب الله، والذي يدير برنامج مكافحة الإرهاب والاستخبارات في معهد «شنتان» في واشنطن، فإنّ حزب الله، ومع بداية عام 2003، أصبح حليفاً أساسياً لإيران، وبدأ بتدريب المجموعات الشيعية في العراق، والتي أصبحت القوات الأميركية هناك، في ما بعد، من أبرز أهدافها.

أثبتت ملبشيات حزب الله المدربة أنها عدوٌ قاتل، تستطيع قتل وجرح المئات من الجنود الأميركيين. فبعد تدهور الأوضاع في العراق، وارتفاع عدد خسائر قوات التحالف عام 2006، قرّرت الولايات المتحدة أنّ الوقت قد حان لاتخاذ قرار بإيقاف عديد خسائرها البشرية.

القتل أو الاعتقال

أصدرت إدارة بوش قراراً بقتل الميرال الإيرانيين الذين يستهدفون القوات الأميركية ويسعون إلى زعزعة أمن العراق أو اعتقالهم. كما وافقت على قائمة من العمليات التي تستهدف حزب الله، ووفقاً لمسؤول أميركي سابق خدم في بغداد، فإنّ «الصلاحية لإيجاد مغنية وقتله ومن معه كانت مفتوحة الأفاق».

ومن غير المعروف متى كانت المرة الأولى التي لاحظت فيها الاستخبارات المركزية الأميركية أنّ مغنية كان يعيش في دمشق، لكن من المؤكّد أنّها استطاعت معرفة أماكن وجوده قبل سنة على الأقلّ من مقتله. ويقول مسؤول رفيع في الاستخبارات الأميركية إنّ «إسرائيل» كانت هي التي أشارت للولايات المتحدة للقيام بتنفيذ عملية مشتركة لاغتيال مغنية في دمشق. فلوكالة الأميركية بنى تحنّية قوية وراسخة في دمشق لتستفيد منها «إسرائيل» يوماً.

ويقول مسؤول آخر، إنّ الأميركيين و«الإسرائيليين» نظروا إلى هذه العملية على أنّها انتقامية، إذ بدأ أن الولايات المتحدة لن تخشى الكثير بعد تصفية مغنية، لأنّ حزب الله سيولم «إسرائيل» على هذه الفعلة، من دون أدنى شك.

ومنذ اللحظة الأولى لمعرفة مكان سكن مغنية، قام عملاء الاستخبارات برسم خريطة «منط حياته»، للكشف عن مواطن الضعف فيها، وعند انفجار القنبلة تلك الليلة، كانت الاستخبارات قد حدّدت «منطقة القتل» في محيط لا يزيد على

الرئيس بوش. وبحسب مسؤول استخباراتي سابق، فإنّ كلا من النائب العام الأميركي ومدير الاستخبارات الوطنية ومستشار الأمن القومي ومكتب المستشار القانوني في وزارة العدل، وقّعوا بالموافقة على هذه العملية. ويؤكد هذا المسؤول أنّ الحصول على موافقة بتنفيذ عملية الإغتيال كان أمراً جاداً وصارماً. وأضاف: «كان علينا أن نظهر أنه يمثل تهديداً مستمراً للأميركيين، والتأكيد على أنّ هذه العملية تعتبر دفاعاً عن النفس، خصوصاً أنّ لمغنية تاريخاً طويلاً في استهداف الأميركيين، وتحديداً دوره في تخليط الهجوم على سفارتنا في بيروت عام 1983».

الوصول إلى القاتل

سُطرت عملية دمشق تطوراً فلسفياً داخل أروقة أجهزة الاستخبارات الأميركية التي أعقبت هجمات 11 أيلول 2001. فقيل ذلك، كانت حكومة الولايات المتحدة تنظر في كثير من الأحيان بضمائية نحو عمليات الإغتيال «الإسرائيلية»، وأبرزها إدانة الولايات المتحدة «إسرائيل» بسبب محاولتها الفاشلة في تسميم قائد «حماس» خالد مشعل في العاصمة الأردنية عمان عام 1997. فكان أنّ انتهت العملية بالقبض على عملاء الموساد، وقيام الإدارة الأميركية بإجبار «إسرائيل» على تقديم الترياق لإنقاذ حياة خالد مشعل آنذاك. جاءت عملية قتل مغنية بعد مضيّ عقد كامل على الحادثة السابقة، في اشتغال الولايات المتحدة الأميركية بسبب التورط في عمليات القتل في كل من الباكستان، اليمن والصومال، حيث تنشر وكالات الاستخبارات أو الجيش طائرات من دون طيار ضدّ القاعدة، وحلفائها.

وقال مسؤول أمني أميركي سابق، أنّ إدارة بوش اعتمدت على نظرية الدفاع عن النفس لتبرير قتل مغنية، مذعبة أنه يشكل هدفاً مشروعاً بسبب تخليطه المستمرّ لاستهدافي القوات الأميركية في العراق، جاعلةً منه تهديداً خطراً ومتنقلاً لا يمكن القبض عليه.

حرب الظلّ

وحين وفاته، كان مغنية قد تورط في قتل المئات من المواطنين الأميركيين، بدءاً من تفجير السفارة الأميركية في بيروت الذي قتل فيه 63 شخصاً، بينهم ثمانية مسؤولين من وكالة الاستخبارات الأميركية. فحزب الله، المدعوم من إيران، لديه تاريخ طويل من المشاركة في حرب الظلّ طويلة الأمد مع «إسرائيل» والمدعومة من الولايات المتحدة الأميركية. كزس تفجير السفارة ذلك، حزب الله هدفاً مباشراً لوكالة الاستخبارات الأميركية، وكذلك التحضير لاستهداف قياديه المخططين أمثال مغنية.

وفي كتاب «الحجاب» للصحافي الشهير في «واشنطن بوست» بوب وودورد، يؤكّد كتابته أن مدير وكالة الاستخبارات المركزية ويليام كايبي شجع رعاية العملة العربية السعودية قتل الأمين العام لحزب الله. فكان أنّ فشلت محاولة اغتيال محمدحسين فضل الله في تفجير سيارة مفخخة عام 1985، بعد أن قتل أكثر من ثمانين شخصاً، وقرّار فضل الله إلى إيران. وكان مغنية قد أدين من محكمة اتحاديّة أميركية بحطف طائرة «TWA» رقم «847»، بعيد إقلاعها من أثينا في اليونان وقتل غطاس البحرية الأميركية وروبرت ستينام، الذي كان على متنها. ليصبح مغنية على رأس قائمة المطلوبين الإرهابيين لمكتب التحقيقات الفيدرالي، مع مكافأة

كيف تعاونت وكالة الاستخبارات المركزية مع الموساد «الإسرائيلي» لقتل القائد في حزب الله عماد مغنية؟ كتب آدم غولدمان وإيلين ناكاشيما في «واشنطن بوست»: في 12 شباط 2008، سار عماد مغنية، قائد العمليات الدولية في حزب الله، في شارع دمشق هادئاً بعد عشاء ليليٍّ في مطعم هادئ، وليس بعيداً من هناك، كان فريق من مراقبي الاستخبارات الأميركية يلاحق خطواته بدقة. وما إن اقترب مغنية من سيارة الدفع الرباعي المتوقفة جانباً، حتى انفجرت قنبلة مزروعة في الاطار الاحتياطي من الجزء الخلفي في سيارته، ما أدّى إلى انفجار موجة عارمة من الشظايا داخل دائرة ضيقة القطر، ومقتله على الفور.

حرّك الجهاز عن بعد، وبالتحديد من «تل أبيب» بواسطة قيادات الموساد الذين كانوا يتواصلون مع عملائهم على الأرض الدمشقية. وقال مسؤول سابق في الاستخبارات المركزية الأميركية: «كان يمكن للولايات المتحدة أن تعترض على الطريقة التي أعدت بها العملية، لكنها لم تتمكن من إيقافها». ويضيف المسؤول: «ساعدت الولايات المتحدة الأميركية في إعداد القنبلة وأعادت اختبارها مراراً في منشأة تابعة لـCIA في ولاية كارولينا الشمالية، لضمان حدوث أضرار جانبية محدودة أقل... فقد اخترنا هذه القنبلة أكثر من 25 مرة للتأكد من مدى فعاليتها بشكل دقيق».

إنّ التعاون الوثيق وغير الاعترافي بين الولايات المتحدة الأميركية والاستخبارات «الإسرائيلية» يؤكّد أهمية هذا الهدف -أنه رجل استطاع عبر سنوات التخيلط للعمليات الإرهابية الأكثر إثارة لحزب الله، بما فيها العمليات ضدّ السفارة الأميركية في بيروت والسفارة «الإسرائيلية» في الأرجنتين. لم تعترف الولايات المتحدة مسبقاً بالتورط في قتل مغنية، وكان حزب الله قد حمل «إسرائيل» كامل المسؤولية على هذه العملية. إذ لم يتضح لغاية الآن كيفية زرع القنبلة أو الدور الأميركي بالتفصيل. وباستثناء عملية قتل زعيم تنظيم «القاعدة» أسامة بن لادن في أيار 2011، فإنّ عملية اغتيال مغنية تعدّ واحدة من أهم العمليات السريّة عالية الخطورة التي نفّذتها الولايات المتحدة في السنوات القليلة الماضية.

وتقول «واشنطن بوست» إنّ تورط الولايات المتحدة في عملية قتل قيادي في حزب الله، والتي اكتملت خمسة مسؤولين سابقين في وكالة الاستخبارات، تعدّ تجاوزاً للقوانين الأميركية. وتوضح أنّ استهداف مغنية حصل داخل بلد لم تكن الولايات المتحدة في حالة عداء معه، أو حرب ضدّه؛ كذلك، فإنّ قتله بواسطة سيارة مفخّخة، أسلوب يراه كثيرون من المراقبين والخبراء القانونيين انتهاكاً للقانون الدولي الذي يحظر «القتل غيلة»، باستخدام الوسائل الغادرة لقتل العدو وجرحه.

وقالت ماري إيلين أوكونيل، أستاذة القانون الدولي في جامعة نورثدام: «إنّ هذه الطريقة التي يستخدمها الإرهابيون والعصابات، تمثل انتهاكاً لإحدى أقدم القواعد في ساحة القتال». وأكد مسؤولون أميركيون، الذين اشترطوا عدم ذكر أسمائهم، أنه على رغم أنّ العملية نفّذت في سورية، لكن مغنية كان على صلة مباشرة بتسليح الميليشيات الشيعية في العراق وتدريبها، تلك التي كانت تستهدف القوات الأميركية هناك، مؤكدين ضلوعه في تنفيذ التفجيرات الانتحارية والهجمات بالحيوات الناسفة، وأشاروا إلى وقوع الكثير من الجدل داخل إدارة الرئيس السابق جورج دبليو بوش في شأن استخدام سيارة مفخّخة في تنفيذ العملية.

وتلفت الصحفية إلى أنّ العملية كانت تتطلب موافقة من

